***2 ـ أدب الرحلة*:**

**توطئة**:

فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي، فيه فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم. كما أنه ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار، وبلدان ووصفها، والحكم عليها وعلى المجتمع فيها، حكاما ومواطنين، فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط، يتآزر في ذلك الواقع والخيال، وأسلوب القص والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

وأدب الرحلة يرد بتسميات أو مصطلحات مختلفة عند النقاد والباحثين، وإن تعددت هذه التسميات وتجاورت، فإنها تقع على المحيط الدلالي لدائرة أدبية واسعة تتخذ من المكوّن المكاني مركزاً لها. ومن بين هذه التسميات نجد ما يلي: أدب الرحلة ـ أدب المذكرات والسير الذاتية ـ الأدب السياحي ـ الأدب الجغرافي ـ ولعل أكثر هذه التسميات تداولاً هو أدب الرحلة، أو أدب الرحلات.

***مفهوم أدب الرحلة***: يسمى الأدب المكتوب من وحي الانتقال من مكان إلى مكان آخر، أدب الرحلة، أو أدب الرحلات(Littérature de voyages) بالفرنسية، و(Travel litterature) بالإنجليزية وهو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته، وفي بلاد مختلفة. وقد يتعرض لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، تسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته، مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد... ويعتبر أدب الرحلات ـ إلى جانب قيمته الترفيهية والأدبية أحياناً ـ مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة [ التعريف مأخوذ من معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة: ص 77 ].

ويقوم أدب الرحلة عل عنصرين أساسيين لا يستغني أحدهما عن الآخر، نص أدبي لا يخلو من الخيال، ورحلة واقعية. ويقتضي ذلك أن تطفو أدبية النص ـ وما تستلزمه من حضور تعبيري يقطر سرداً ووصفاً وبهاءً لغوياً ـ على سطح مادة رحلية واقعية حدثت بالفعل في الواقع المكاني للكاتب.

إن أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم. والواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة والفينيقيين والرومان والإغريق. ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقاً ومغرباً أمثال: ابن جبير وابن بطوطة والإدريسي وغيرهم، إذ نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة، وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب.

وقد برزت الرحلة كفنّ أدبي مدوّن ابتداءً من القرن الثالث الهجري بجهود بارزة، ومن بينها عمل " اليعقوبي " (ت284ه) صاحب كتاب " البلدان "، ومن بعده " المسعودي " صاحب كتاب "مروج الذهب "، جامعين بين المادة التاريخية والجغرافية والإطار الأدبي الفني. إلى جانب "أبي حامد الأندلسي (ت564) بكتابه "تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب " و البيروني "بكتابه " الآثار الباقية "، والإدريسي بكتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ". وقد مثل الرحالة الأندلسي "محمد ابن جبير (ت614ه) أحسن تمثيل الاتجاه الأدبي برحلته المعنونة "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار" حيث اهتم بالصياغة الأدبية إلى جانب المعلومات التاريخية والجغرافية.وقد جاء بعده رحالة كثر لعل أشهرهم "محمد بن إبراهيم "المعروف بابن بطوطة(ت776) الذي يعدّ من أشهر الرحالين شرقا وغربا بكتابه "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".

***أدب الرحلة في العصر الحديث****:* عرفت الرحلة الأدبية العربية خطوة جديدة كانت منعرجاً حقيقياً في مسارها عند احتكاك الرحالة العرب الحضارة الغربية، وقد تغير اتجاه الرحلة من المشرق والمغرب إلى أوربا وقد تفاعل الرحّالون العرب مع الحضارة الغربية، وفي مقدمتهم الثنائي " رفاعة الطهطاوي"( 1801م ـ 1873)، وخير الدين التونسي (1810م ـ 1890) اللذان احتكّا بالحياة الأوربية، وإفرازات الثورة الفرنسية، واقترحاَ الأخذ من إيجابياتها، مع الإصرار على أن الحضارتين الأوربية والإسلامية العربية مختلفتين. لذلك رفضاَ ما يتعارض مع الإسلام.إلى جانب رحلات "أحمد فارس الشدياق(1887م) إلى مالطة وبريطانيا وفرنسا وجمع أخبارهما في كتابين سماهما "الواسطة في معرفة أحوال مالطة" و"كشف المخبأ عن فنون أوربا".و تعددت الرحلات في الوطن العربي في القرن العشرين وتنوعت الاتجاهات و أشهرها رحلة "محمد لبيب البتنوني" المعروف برحلته الحجازية و "الشيخ محمد رشيد رضا" وله رحلتين إلى سوريا و"محمد الخضر حسين " صاحب رحلات كثيرة في المغرب والمشرق منشورة في مجلات عربية مختلفة.

وقد عرف فن الرحلة كأثر مكتوب في الجزائر نشاطاً معتبراً في القرن الثامن عشر، وذلك في إطار المناخ الجديد الذي عرف ظهور المطبعة، فنشطت حركة الطبع والنشر، وهو نشاط عكسته نماذج معتبرة بمادتها ورجالها وقضاياها.

**أدب الرحلة في الجزائر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**.

1 *ـ* ***في القرن الثامن عشر***: أسهم الرحالة الجزائريون في هذا العصر بمجهودات في هذا المجال، ومارس كتّاب كثيرون هذا الفن، ولاسيما تلك الرحلات التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية والاجتماع بهم، أو السفر لأداء فريضة الحج. ومن بين أشهر الرحالة الجزائريين في تلك الفترة، نجد " أحمد بن عمار "، و" محمد بوراس المعسكري "، و" الورتلاني "، و" وابن حمادوش الجزائري "، وغيرهم.

إن أقدم هذه الرحلات هي رحلة " ابن حمادوش " المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال "، وقد باشر المؤلف كتابتها في عام 1743 م، وهي رحلة محشوة بالأخبار والتعاليق والاستطرادات. ويتضح شكل الرحلة في القسم الخاص بحديثه عن " المغرب الأقصى " الذي بدأت الرحلة إليه على ظهر سفينة فرنسية استأجرها ثلاثة تجار جزائرين.

والرحلة هذه إحدى الوثائق الهامة في الحيوية الثقافية التي شهدها القرن الثامن عشر(12 هـ) الحافل بأسماء لامعة في الفقه والتاريخ والأدب، وإن اقتصرت أخبارها على المغرب والجزائر،

وحياة الرحالة بينهما، إلا أنها حافلة بمعلومات مفيدة سياسياً واقتصادياً وثقافياً، واجتماعياً عن القطرين، وحياته أيضاً الصعبة فيها.

أسلوب هذه الرحلة ميّزته السلاسة، تراكيب بسيطة ومباشرة. ويلاحظ عليها التباين في مستويات التعبير بين أجزاء الرحلة التي استغرق تحريرها خمس سنوات في ظروف مختلفة.

2 ـ رحلة " الورتلاني " المولود في بلدية " بني ورتلان " ولاية سطيف، المعروفة باسم " الرحلة الورتلانية "، وبعنوانها " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ". لئن حفلت هذه الرحلة بكلام عن تنقله إلى جهات مختلفة داخل الوطن، من غربه ( تلمسان) إلى شرقه (عنابة)، ومن شماله (دلس وبجاية ومدينة الجزائر)، إلى جنوبه (المسيلة، سيدي خالد)، فإن الحديث تركز على حجه، فذكر أنه قصد " تونس " للدراسة. وانطلق منها إلى الحج ليعود إلى الجزائر نحو حج وجهاد وزيارة وعلم وتعلم وإفادة واستفادة على حد قوله، وقد انتهى من تدوين هذه الرحلة المكونة في الحقيقة من عدة رحلات سنة 1768 م.

والرحلة عموماً من أحسن ما أنتجه القرن الثامن عشر الهجري، ليس لمادتها الجغرافية والتاريخية، وطابعها الفكري والأدبي فحسب، بل لما انعكس فيها من أوضاع مختلفة في الوطن العربي اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية ودينية.

وقد شهد هذا القرن أيضاً رحلة سياسية عسكرية جسّدت جانباً من سياسة لا تخلو من رعونة تعتمد العنف والارتجال في القرارات، نقلت وقائع وأخباراً جغرافية وتاريخية. وصوّرت أوضاعاً اجتماعية وسياسية وأدبية، وهي رحلة " محمد الكبير" باي الغرب الجزائري، من تأليف كاتبه ومستشاره " أحمد بن هطال التلمساني "، وهي خاتمة للقرن الثامن عشر، وفاتحة للقرن التاسع عشر الميلادي. وقد كتبها " ابن هطال " تنفيذاً لرغبة " الباي " حين نهض انطلاقاً من " وهران " في حملة لإخضاع مناطق في الصحراء الجزائرية إلى سلطة " الداي " .

نحا الكاتب في تحريرها نحواً تقريرياً، جعلها أقرب إلى عرض حال عن الغزوة وما صاحبها من عناء. لكن ذلك لا ينفي وجود فقرات جيدة في الوصف، غالباً ما اتسمت فيها الكلمات بالطلاوة والسجع أحياناً.

*2 ـ* ***في القرن التاسع عشر***: عرف القرن التاسع عشر نماذج للرحلات، اختلفت مساراتها، وتعددت مقاصدها، وتباينت مستويات التعبير فيها، كما اختلفت أهمية أصحابها الفكرية والسياسية والاجتماعية. فهناك الرحلة الحجازية التي اتخذت وجهتها الحجاز لأداء فريضة الحج وهناك الرحلة السياسية التي اكتست طابعاً سياسياً في شكلها العام، وهناك الرحلة الاستطلاعية التي اتخذت طابعاً جغرافياً تاريخياً استطلاعياً.

**الرحلة الحجازية:**

يمثل نموذج الرحلة الحجازية (الرحلة للحج) رحلة " محمد بوراس الناصر المعسكري " بعنوان " فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربّي ونعمته "، كتبها وهو في الثمانين من عمره، أي سنة 1817، خمس سنوات قبل وفاته.

والرحلة عموماً في صميم " السيرة الذاتية "، لأن حديث الكاتب عن سيرته الذاتية غطى معظم مادة الكتاب. لكن بشكل عام هناك حديث عن صلته بالمحيط والأوضاع الاجتماعية والتاريخية وغيرها. وقد ورد الحديث عن رحلته في الباب الثالث المعنون " في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما ولقاء العلماء الأعلام وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام ". وهو ما يكشف مساره في الرحلة والقضايا التي شغلته، وما كان يجذب اهتمامه فيكون محور تفكيره ومجال العلاقات العامة والخاصة في رحلته.

تحدث عن المدن التي زارها، وتوقف بها في مرحلة الذهاب من غرب الجزائر حتى فلسطين، مروراً بتونس والقاهرة ومكة والمدينة، دون أن يتحدث عن مرحلة الإياب، كما أنه لم يتحدث بشكل مميز عن أدائه مناسك الحج، وهو ما يؤكد نقطة مهمة في شخصيتهن وهو اهتمامه بلقاء رجال العلم والثقافة في كل مكان حلّ به، دون أن يستهويه ذوو السلطان والجاه. وقد عبّر

عن سعادته كلما اكتشف مستوى علمياً رفيعاً لدى علماء البلد. وتعظم تلك السعادة حين يجد نفسه منتصراً عليهم في جلسات المناظرة والنقاش. وقد احتل الحديث عن لقائه بعلماء الأقطار العربية التي لها المكانة الأساسية في الرحلة.

بدأت الرحلة من حيث أسلوبها في قالب سردي اقرب إلى التقرير في معظم الفقرات، نحا نحو الدقة العلمية خصوصاً في ثبت الأسماء والمناسبات، وبأسلوب أدبي يظل في بعض الفقرات كوصفه لبعض المدن بأناقتها وجمالها. وتبقى هذه الرحلة شاهداً حيّاً عن أوضاع مختلفة، وعن طبيعة العلاقات بين أبناء الأمة العربية، وفي مقدمتهم علماؤها، بتوددهم وتآزرهم وشغفهم العلمي وتنافسهم الشريف فيه. وإن انطلقت رحلة " حج " لكن فسحت المجال بعدها للحديث عن صلات إنسانية حميمية عميقة في التواصل والمودة والمحبة. ومن خلالها أيضاً ظلت صورة مشرقة للإنسان، والمدن العربية ذات الروعة والأناقة بمعالمها الثقافية والحضارية وجمالها الساحر وطبيعتها الزاهية.

و قد دون "الأمير عبد القادر " رحلته إلى الحجاز والشام وبغداد ضمن مذكراته التي تروي سيرته الذاتية والتي جمعها ونشرها بعض الباحثين فيما بعد(عبد القادر بن محي الدين ،مذكرات الأمير عبد القادر ،سيرة ذاتية تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون )وقد جاءت الأخبار عن رحلته موجزة في هذه السيرة الذاتية لانه كان يركز على حياته النضالي وعلى الرغم من ذلك نستطيع التعرف على مسار رحلته الدقيق ومجمل أعماله خلال السفر وأشهر العلماء الذين لقيهم إلى جانب بعض انطباعات المؤلف وآرائه حول البلدان التي اجتازها في رحلته وسكانها.

2 ـ ا**لرحلة الاستطلاعية ( الجغرافية التاريخية ):** يمثل هذا النوع رحلة " الحاج ابن الدين الأغواطي " بعنوان " رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية ". كُتبت الرحلة بالعربية في حدود (1826 ـ 1829) بناءً على طلب " وليام هيدسون " مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر في الفترة (1825 ـ 1829)، مقابل مبلغ مالي. فأنجز " الأغواطي" عمله هذا وقبض الثمن من " هودسن " ذي النزعة الاشتسراقية الحريص على جمع معلومات جغرافية وتاريخية ولغوية، خصوصاً عن البربرية. ترجم هذه الرحلة إلى الإنجليزية، وقد بقي النص العربي مجهولاً، وهو ما حفّز الدكتور " أبو القاسم سعد الله " على إعادة النص إلى العربية في نحو تسع عشرة صفحة.

جمعت الرحلة في مسارها بين الداخل والخارج، وقد حاول أن يعين مسالك، ويوضح معالم، ويحدد مسافات بين مناطق ومدن. ويجلّي طبيعة هذه الجغرافيا، وهندسة بناء، ونظام حكم وتقاليد اجتماعية وغيرها، فعكست بذلك الرحلة كثيراً من الأوضاع المختلفة، التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. إنها رحلة برؤية استطلاعية غلب عليها الجانب الجغرافي التاريخي عن مواقع مدن، وأحوال ناس، لغة وعادات وتقاليد، وأزياء وسواها.

3 ـ **الرحلة السياسية**: في الرحلة السياسية نماذج تتكامل في بعض الأحيان، وتختلف أحايين أخرى. فمن النماذج المتكاملة رحلتان اتجه صاحبهما إلى باريس، أولاها رحلة " سليمان بن الصيام " إلى فرنسا سنة 1852، وتدعى " الرحلة الصيامية " من مليانة إلى الجزائر العصمة في اتجاه باريس، والرحلة الثانية هي رحلة " محمد السعيد بن علي الشريف " على فرنسا في نفس العام، بل كانا في نفس الوفد الذي زار فرنسا لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالاً بتنصيب " نابليون الثالث ".

اهتم " محمد السعيد بن علي الشريف " في رحلته بأمور وظواهر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة، فحينما قُدّر له أن يزور بيئة جديدة عليه، لم يكن مجرد سائح أو مُسجّل لمشاهد رآها بعينه، وإنما حاول أن يستخلص بعض النتائج وأن يقارن بين الجديد الذي شاهده والقديم في بيئته، وساعدته على ذلك ثقافته الفرنسية التي تكونت له بعد أن ظهر ولاءه للحكام الفرنسيين، وخاصة الماريشال " بيجو "، وارتبط بالإدارة الفرنسية التي استدعته ليكون ضمن الوفد المسافر إلى المهرجان المشار إليه.

أما رحلة " سليمان بن الصيام " في نفس الوفد، فقد كانت غنية بالوصف، حيث وصف فيها الطبيعة والآثار والقصور ومراسيم الاحتفال والقطار والباخرة والمسارح وغيرها من مظاهر الحضارة والعمران.

والرحلتان تتفقان في روح المجاملة للإدارة الفرنسية التي أوفدتهما لحضور المهرجان والتي يعملان في خدمتها، وهما يمثلان نموذجاً طيباً عن أدب الرحلات في الأدب الجزائري الحديث، إلى جانب رحلة أخرى جاءت بعد ست وعشرين سنة، وهي رحلة " أحمد بن قاد " في رحلته " الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية، وهي رحلة للمشاركة في معرض دولي، ركز فيها على مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال، كما عبّر عن إعجابه الشديد بما شاهد في المعرض من غرائب الصناعات والاختراعات البديعة الرائعة من آلات النسيج والزراعة وآلات التبريد، لكنه يعوض في رحلته هذه للفرق الشاسع بين فرنسا المحتلة، وفرنسا المتحضرة وبين الوضع المهيمن في بلده، والوضع المشرق في فرنسا، لذلك، نجد وإن اتفقت هذه الرحلة مع السابقين في الدعاية للاحتلال الفرنسي، والانبهار بالحياة الفرنسية بوجهها السياسي والصناعي والاجتماعي، إلا أنها تعرض في ختام الرحلة حال الجزائر بلده المهان، مُعرِباً عن ظنه في أن حال الجزائر المزري تسبب فيه اليهود والمعمرون الذين يستغلون الأرض والإنسان يصادرون تلك، ويضطهدون هذا وذاك ليس من خطط الاحتلال الذي ينجز كل شيء بحساب.

هذه الرحلات بوجه عام تكمن أهميتها في طبيعة الاحتكاك بالغرب، وحتى وإن كانت بمباركة الاحتلال للثناء غليه، فقد حملت ضمنياً إدانة تاريخية له لما لحق الجزائر من قمع وتفقير واضطهاد، وما أصاب لغتها العربية من ضعف وركاكة لحقت الصياغة والركاكة، لأن لغة هذه الرحلات وصياغتها بدت دون مستوى سابقاتها، فعكست بذلك التدهور الذي شهده النثر الجزائري إبان الاحتلال.

*3 ـ* ***في القرن العشرين***: اختلفت رحلات القرن العشرين عما سبقها من حيث الهدف والاتجاه، كما اختلفت مضموناً وأسلوباً. لئن كانت الرحلات السابقة قد اتجهت إلى خارج الوطن، فإن رحلات هذه الفترة اتجهت أكثر إلى داخل الوطن، وخاصة تلك التي قام بها رجال الإصلاح لهدف الفكرة الإصلاحية ونشرها بين الجماهير، ودعوتها إلى اليقظة والنهوض. كما اتجه البعض الآخر إلى المشرق العربي، أو إلى أوربا والاتحاد السوفياتي والصين. وكان الهدف منها أيضاً خدمة الشعب

الجزائري بالتعريف بقضيته من جهة، وبنقل مشاهدات تفيده من قريب أو بعيد من جهة ثانية. كذلك اختلف المحتوى والأسلوب عن الأنواع السابقة إلى حد بعيد.

كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل تصور مدى تعلق الشعب بالحركة وبعلمائها، نلمس ذلك في رحلات " ابن باديس" التي سجلها، وأبرز فيها زياراته المختلفة لمدن وقرى القطر الجزائري، وهو يطلق عليها لفظ " تنقلات ". ويصرح بهدفه من وراء رحلاته وهو تذكير الناس بدينهم، وحثهم على الرجوع إليه، ثم يأخذ في وصف جولاته بذكر أسماء مدن قرى كثيرة، ويتحدث عن المساجد ويدعو إلى بناء مثلها. كما يذكر أسماء شخصيات معروفة التقى بها هنا وهناك، إلى جانب رحلته إلى تونس المعنونة " في تونس العزيزة ".

إلى جانب رحلات البشير الإبراهيمي الكثيرة داخل الوطن وخارجه. وكان أسلوبه في هذه الرحلات يمتاز بالعناية الشديدة بالصياغة والبيان والجمال الأدبي.وقد رحل إلى المشرق عام 1952 ضمن نشاطات ج ع م مبلغا لطلبات الجمعية لدى الحكومات ومعرفا بالقضية الجزائرية وبنضال شعبه ضد الاحتلال .كما قصد دولة الباكستان عام 1958 وشملت رحلته هذه الحديث عن باريس وروما ومصر التي مرّ بها أثناء هذه الرحلة.وقد حدد الأهداف المتوخاة من هذه الرحالة بدراسة أحوال المسلمين في مواطنهم والاتصال برجال الدين ودراسة أحوال الحكومات الاسلامية اضافة إلى التعريف بالجمعية والجزائر .

والرحلة تحوي أخبارا متنوعة جغرافية وتاريخية بأسلوب وصفي دقيق مع روح دعابة خفيفة ولغة واضحة وأسلوب تقريري إخباري في غالب الاحيان.

ولعل أهم الرحلات التي تحمل طابعاً سياسياً قومياً، رحلات " أحمد توفيق المدني " داخل الجزائر وخارجها، في أوربا والعالم الإسلامي والعربي.

ولقد كان إنتاجه أكثر غزارة من " ابن باديس "، لأنه تفرغ إلى الكتابة والتأليف، إلى جانب نشاطه السياسي بعد 1956( بعد اندلاع الثورة).

وابتداءً من سنة 1955 تاريخ أول رحلة خارجية إلى " المغرب "، تعددت رحلات الشيخ " المدني " الخارجية وتنوعت، خصوصاً في الوطن العربي. فكانت القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية والكويت والأردن وليبيا وتونس والسودان والصومال.

وقد صورت رحلاته التجاوب العربي العميق رسمياً وشعبياً مع الثورة الجزائرية منذ انطلاقها. وبدت معظم الأقطار العربية متجاوبة مع الثورة باختلاف أنظمتها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لكن باختلاف واضح أولاً في حرارة ذلك التجاوب، وفي حجم الدعم المادي والسياسي.

وهناك رحلة أخرى إلى المشرق العربي كتبها " محمد المنصوري الغسيري " حين ذهب عام 1953 مع وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى مصر، ومنها انطلق مع الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الحج، ثم إلى بعض أقطار المشرق، وهو لم يكتف في رحلته هذه بتسجيل مشاهد وصور، بل عبّر فيها عن انطباعاته ومشاعره وأحاسيسه بما يرى. ولكن من زاوية العالم المصلح الذي يدعو إلى فكرة معينة ويلح عليها، وأجرة فيها مقارنة بين واقع المشرق العربي الذي تحررت معظم أقطاره من الاستعمار، وبين الواقع المؤلم الذي يعيشه الشعب الجزائري. وفي مواقف كثيرة يستشهد بالشعر مما ينبئ عن ثقافة عربية واسعة.

وهناك رحلات أخرى مختلفة، كرحلة " محمود بوزوزو " إلى فرنسا سنة 1939 بعنوان " من وحي البرلمان الفرنسي "، إلى رحلة " حمزة بوكوشة " إلى المغرب الأقصى.و"الطيب المهاجي "برحلاته إلى فاس والحجاز و التي ذكرها في كتابه(أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) وعموماً حاول الكتّاب الجزائريون في هذه الفترة كتابة مذكراتهم بوصف رحلاتهم الداخلية والخارجية، وتسجيل مشاهداتهم ولقاءاتهم في قالب أدبي. ولذلك نجد من يسمي هذا الأدب " أدب المذكرات " بدل " أدب الرحلات "، مثل عبد المالك مرتاض. وهناك من يسميه " أدب السياحة "، على اعتبار السياحة رحلة تلقائية حرة إلى مكان مرغوب فيه، بِنيّة التجوال والتمتع والاستطلاع والفضول والاكتشاف.

والأدب السياحي هو ثمرة كل ذلك في شكل جمالي يطبعه الإمتاع الوصفي والتنميق الكلامي، والتبليغ الانطباعي الذي يمتاز ببساطة الوظيفة الإخبارية. وقد أسهم في ترسيخ هذا النوع من الأدب الدكتور " عبد الله الركيبي " بكتب سمّاه " في مدينة الضباب ومدن أخرى "، ثم أردفه بعنوان فرعي " سياحة أدبية "، وقد نشره عام 2003، بعد ما كتب قبله " الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز " عام 1999.

لقد سيطر الحديث عن مدينة الضباب " لندن" في هذا الكتاب إلى جانب مدن أخرى زارها في أزمنة متقاربة حيناً، ومتباعدة حيناً آخر، ولأمكنة مختلفة، عربية وأجنبية، كمصر وسوريا وفرنسا والفيليبين والمجر وألمانيا وروسيا.

أما عن فنيات الأدب السياحي عند " الركيبي "، فإننا نلاحظ أن أدبيته تفتر أحياناً في المواقف التي يطغى عليها السرد التاريخي، والإخبار السياسي. وفي موقف أخرى تسمو ويطيب جمالها خاصة من المواقف التي تتخللها مشاهد وصفية ممتعة، منسوجة من وحي المكان.

والكِتَاب على العموم زاخر بكثير من الأساليب الفنية التي استمدها الكاتب من تمرسه المبكر بالفن القصصي. وفي الكِتَاب كذلك نفحات من روح التسامح الحضاري، إذ تتداعى الأمكنة والتجارب في العين والذاكرة. ويمكن اعتبار هذا النص السياحي عن " الركيبي " واحة فنية تعكس تجربة مكانية خارج البلاد.

ولا يفوتنا ذكر رحلة هامة قام بها الأديب " أحمد رضا حوحو " إلى الاتحاد السوفياتي سنة 1950، وقد سجل فيها ما شهده من تطور حضاري، وصناعي، وتقدم ثقافي في روسيا. وحاول أن ينقل صورة صادقة للبيئة الجديدة التي ذهب إليها. وتعد قيمة هذه الرحلة في موضوعها، ما قدمه من معلومات وأشياء جديدة. أما من الناحية الفنية، فقد ابتعد الكاتب عن الأسلوب الفني مغلباً عليه الأسلوب الصحفي.إلى جانب رحلة "عثمان سعدي"المعنونة "وطني و المنشورة في جريدة البصائر عام 1953 ورحلة"محمد علي دبوز"من الجزائر إلى القاهرة إلى طانطا (الريف المصري)و التي عنونها"وقفة في دار الرافعي وعلى قبره" حيث تحدث عن مصطفى صادق الرافعي بعد الرحلة إلى مسقط رأسه(طنطا) واكتشاف الأماكن و المعالم التي كان يرتادها .وقد

نشرت الرحلة في البصائر سنة1955.ورحلة "أبو القاسم سعدالله"إلى السعودية وهي من الرحلات العلمية إذ كانت تهدف حضور الندوة العالمية الأولى المخصصة لمصادر الجزيرة العربية وقد عنونها "رحلتي إلى الجزيرة العربية وطبعها في كتابه الموسوم"تجارب في الأدب و الرحلة".

ونختم برحلات "أحمد منور" المتعددة ،فمنها ما كان أوربية الوجهة مثل رحلته إلى فرنسا وانجلترا سنة1976 وكانت لغرض السياحة و التجوال ومنها ما كان مشرقي الوجهة كرحلاته إلى ليبيا ومصر والكويت ، وكانت الأخيرتين لغرض ثقافي.وقد نشرت رحلاته إلى أوربا في جريدة السلام سنة1996.ونشرت باقي الرحلات في جرائد عربية كجريدة العرب الليبية (1991) والقبس الكويتية (1996).

إذا تطور فن الرحلة في الجزائر في العصر الحديث واهتمت إلى جانب الجغرافي و التاريخي بنقل الانطباعات و المشاعر والتصورات كما نقلت قضايا إيديولوجية وثقافية وحضارية من وجهات نظر الكتاب وتعددت الأغراض أيضا من دينية إلى تعليمية إلى تجوال وسياحة و قد استجدت دواعي أخرى لذلك كحضور الملتقيات والمهرجانات والتظاهرات الثقافية وأداء مهام سياسية أو دبلوماسية.وقد اختلفت طرق تدوين هذه الرحلات فمنها ما استقل بكتب كاملة ومنها ما أخذ حيزا في كتب أخرى ككتب السير أو المذكرات ومنها ما ظل حبيس الجرائد و المجلات .

**نماذج من الرحلات:**

1/ رحلة محمد السعيد بن علي شريف إلى فرنسا: لقد أفاض الرحالة في وصف أخلاق أهل باريس ،فوصفهم بالذكاء ودقة الفهم يقول : " فهم مولعون بحب المعرفة في والتدليل على ما يقولون ...ولهم محبة في تبديل وتغيير سائر الأمور لاسيما اللباس فإنه غير مقرر عندهم وليس ذلك التغيير كليا وإنما ينتقلون من القلنسوة إلى الشاشية ،يلبسون البرنيطة على شكل ثم ينتقلون بعده إلى شكل آخر ،سواء في صورتها أو شكلها ، ومن عاداتهم المهارة والخفة ،فإن صاحب القدر تراه يجري في الأزقة كالصبي، ولهم طيشان وتلون ،فينتقل الإنسان من الفرح إلى الحزن وبالعكس و من الجد إلى الهزل وبالعكس إلى أن يرتكب في اليوم جملة من أمور متضادة ".

2/ رحلة أحمد رضا حوحو الاتحاد السوفياتي : وقد أطلق على رحلته عنوان "وراء الستار الحديدي" ،يقول واصفا الحياة الثقافية لدى السوفيات : "الثقافة في بلاد السوفييت طابع ممتاز صبغت به كل ألوان الحياة هناك فلا مفر للكبير والصغير من الثقافة والتعليم ووسائلها كثيرة متوفرة لكل راغب والإقبال على التعليم عظيم جدا لأنه هو طابع الحياة في تلك البلاد يجده الإنسان أينما حلّ وارتحل في الحدائق ، في المسارح ،في المكاتب العامة وحتى في المعامل .." .